الدرس الرابع

أنواع المصادر والمراجع التاريخية

استخدم الإنسان منذ بدء الخليقة أنماطا متعددة ومختلفة من أوعية المعلومات لتوثيق أنشطته وإنتاجه الفكري تمثلت في الحجارة والطين والعظام والجلود والبردي والورق وصولاً إلى استخدام المصغرات الفيلمية والاسطوانات والشرائح والأشرطة والأقراص المدمجة والمواقع العنكبوتية على شبكة إنترنت. واعتمد الإنسان عبر هذه الحقبات التاريخية أساليب وأشكال عدة من مصادر المعلومات التي تشكل في حصيلتها الرصيد والإنتاج الفكري للحضارة الإنسانية.

أما العناصر التي يمكن على أساسها تقسيم مصادر المعلومات فهي عدة وأهمها العناصر المتعلقة بالمضمون (المحتوى) والشكل. ومن الطبيعي، أن تكون هناك عناصر إضافية كالمكان والزمان واللغة والمعالجة، ولكنها بعيدة عن غاياتنا الحالية في مسالة تحديد مصادر المعلومات وتنوعها والكيفية التي نقيمها بحيث يكون استعمالها ذا اثر ايجابي وليس العكس. على العموم،

على الباحث أن يكون ذا مهارة ودراية في التمييز بين المصادر والمراجع، لكون هذا المسالة ليس بالأمر الهين بالنسبة للكثير من الباحثين، لاسيما المبتدئين منهم، بل هي على جانب كبير من الصعوبة، لأننا أحياناً نجد صعوبة كبيرة أحيانا في الفصل بين المصادر والمراجع، خاصة في حالة تضمن المصدر الواحد معلومات أولية وثانوية في ذات الوقت، إلى جانب الصعوبة التي يواجهها المؤرخ في الكشف عن حوادث ووقائع لم يعاصرها ولا يستطيع أن يخضعها للملاحظة المباشرة. وتنقسم الأصول إلى قسمين:

أولا: أصول أولية.
ثانيا: أصول ثانوية.

أولا: الأصول الأولية :

هي مصادر مهمة للمعلومات، فلا يصبح البحث التاريخي علمياً، إلا إذا أتيح له أن يظهر ويتراكم فيه مصادر أولية، كما أن قيمة أي حدث يتوقف على درجة كبيرة على حجم المعلومات

المتعلقة به والذي يظهر في شكل مصادر أولية ينتجها صناع الحدث، أو يضعها من عاصر الحدث ذاته. وغالبا ما تكون معلومات هذه المصادر جديدة وذا قيمة تاريخية كبيرة، بمعنى أنها لم تنشر سابقا. وتنقسم الأصول الأولية إلى نوعين هما:

1. الأصول المدونة:

وهي تشمل على سبيل المثال، كل من:

أ. الوثائق الأرشيفية: وهي تشمل الوثائق الحكومية على أنواعها، مثل: السجلات والوثائق الرسمية والأنظمة والقوانين التي كانت سائدة في تلك الحقبة الزمنية إلى جانب مذكرات العمل، اليوميات، الرسائل أو المراسلات الشخصية، ملفات الشركات، ملفات الأشخاص، إلى غير ذلك من المواد الأرشيفية وغيرها.

ب. الإصدارات الرسمية: وهي المطبوعات أو الوثائق التي تصدر عن هيئة أو مؤسسة حكومية تنفيذية أو تشريعية أو قضائية. وتشتمل على معلومات تتصل بنشاط الهيئة أو المؤسسة. وتقدم المطبوعات الحكومية أو الرسمية الكثير من البيانات الخام والمواد والإحصاءات والأرقام التي تكون أساسية للباحثين والدارسين والتي ليس من السهل توفرها في مصادر أخرى.

ج. كتب المذكرات والسير الذاتية.

د. الرواية الشفوية.

هـ. شهود العيان وأهمية ما يذكر من معلومات لأشخاص مهمين تركوا بصمات على الأحداث في الحقبة الزمنية لموضوعة البحث.

و. المقابلات الشفهية(الحية).

ز. المؤلفات العلمية المزامنة للحدث.

ح. الصحف والمجلات المعاصرة للحدث.

ط. التسجيلات الإذاعية والتلفزيونية والسينمائية وأشرطة التسجيل والنشرات والرسوم التوضيحية والخرائط .

2. الأصول المادية:

وتشمل جميع المخلفات المادية التي جاءت إلينا من الماضي، سواء كان هذا الماضي قريبا أو بعيدً منذ عصور ما قبل التاريخ الموغلة في القدم. وتنوعت وكثرت البقايا المادية، والتي تشمل: البيوت والمعابد والفنون بمختلف أنواعها والجسور والقناطر والأسلحة والصناعات وغيرها من البقايا المادية التي تكون مصادر أساسية مهمة، يستطيع المؤرخ من خلال دراستها أن يكون صورة شاملة عن الحقبة أو العصر الذي يدون تاريخه.

ثانيا: الأصول الثانوية:

أما مصادر المعلومات الثانوية فهي أوعية المعلومات المرجعية التي تمكن المستفيد من الوصول إلى مصادر المعلومات الأولية بعد معالجتها وتحليلها وتقديمها بشكل جديد منظم ومرتب وفقا لأحد أنظمة الترتيب المعروفة. لذلك فالمعلومات التي يوفرها هذا النوع من المصادر ليست جديدة بل منشورة ومستخدمة سابقا في المصادر الأولية. وتشمل مصادر المعلومات الثانوية:

أ. الكتب: تمثل وعاء فكري جمع ونسق المعلومات بصورة جديدة ومختلفة. ولها أهمية كبيرة لما تحتويه من معلومات وبيانات توصل اليها باحثون سابقون تفيد الباحث في معالجة مشكلة البحث التي يقوم بدراستها. وهي تعتمد في معلوماتها على المصادر الأولية. ولا يمكن الاستغناء عنها في مراحل البحث، لأن الاطلاع على ما كتب عن نفس الموضوع أو قريبة منه بشكل مباشر أو غير مباشر، لان الاطلاع على ما كتب في أي موضوع تاريخي هو من مستلزمات البحث التاريخي للاسترشاد بما كتب ونقده والاهتداء به، وكذلك للاستفادة بما تذكره تلك المؤلفات من المراجع والمصادر الخاصة بالموضوع.

ب. الدوريات: ونعني بها الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات التاريخية. وتعتبر الدوريات العلمية المتخصصة من أهم مصادر المعلومات الأولية. وترجع أهميتها إلى اشتمالها على المقالات والبحوث التي تقدم معلومات وأفكار أكثر حداثة من تلك التي توجد في الكتب عن أي موضوع. وتتميز الدوريات عن غيرها من مصادر المعلومات الأولية في أنه من السهل ضبطها ببليوغرافيا والوصول محتواها من خلال الكشافات ونشرات المستخلصات.

ج. أعمال المؤتمرات: هي الوثائق (التقارير، البحوث، الدراسات ...) التي تقدم أو تعرض في اجتماع أو ندوة أو حلقة دراسية أو مؤتمر، إلى غير ذلك من المسميات الدالة على تجمع للباحثين لمناقشة موضوع ما أو قضية ما .

د. الرسائل الجامعية: وهي البحوث التي يتقدم بها طلبة الدراسات العليا للحصول على الإجازات العلمية وهي تكون تحت إشراف أستاذ متخصص وتخضع للمناقشة من قبل هيئة علمية. ومفروض في مثل هذه الرسائل أن تدل على أصالة صاحبها وعلى حجم الجهد العلمي المبذول. وهي تشكل فئة هامة من المصادر التي تعنى الباحثين في موضوعاتهم علا اعتبار أن الرسائل تتناول في العادة موضوعات لم يسبق بحثها أو دراستها على مستوى أكاديمي جاد ومن ثم فهي تعد إضافة حقيقية للمعرفة وجهداً علمياً أصيلاً.

هـ. الموسوعات: وهي وعاء معلومات مرجعي، يقدم في مجلد واحد أو أكثر معلومات مكثفة أو مختصرة للموضوعات المهمة في جميع حقول المعرفة أو بعض منها أو أحدها، غالباً ما ترتب موضوعه الفبائياً، وفي حالات قليلة موضوعياً، ويلحق به أحياناً كشافات أو فهارس تيسر الوصول إلى المعلومات المطلوبة.

و. القواميس: وعاء مرجعي يتوجه إلى جميع مفردات وعبارات اللغة، أو المصطلحات الخاصة بحقول المعرفة البشرية، ليفسر معناها، تهجئتها، طريقة نطقها، اشتقاقها، تاريخها، ومرادفاتها، واستخداماتها المختلفة، أو بعضاً مما سبق ويرتب وفقاً لنظام معين، غالباً ما يتكون الفبائياً.

ز. معاجم التراجم: وهي أوعية معلومات مرجعية يعرف حياة مجموعة تكبيرة من الأفراد البارزين في المجتمع وبشكل مختصر، ووفقاً لترتيب معين غالباً ما يكون الفبائياً.

خلاصة القول، إن مصادر كتابة البحث التاريخي وأهميتها مسالة لا جدال فيها، وهذه الأهمية هي التي عززت من أهمية منهج البحث التاريخي، والذي لايقل أهمية وقيمة ووزنا عن مناهج البحث العلمي الأخرى بل ربما يفوقها إذا ما توفر له شرطان أساسيان هما:

أ- توفر المصادر الأولية والأصيلة واستخدامها بطريقة علمية .

ب-توفر المهارة الكافية لدى الباحث من حيث النقد والتفسير والتحليل والاستنتاج.